الآمدي في المؤتلف والمختلف مَن لُقّب الاخطل اربعة احدهم التغلبي النصراني والثاني الاخطل الضبعي كان شاعرًا وادّعى النبوّة فاخذهُ ابن هبيرة في دولة الامويين فأمر بهِ فضُربت عنقه . والثالث الاخطل المجاشعي وهو الاخطل بن خالب اخو الفرزدق وكان شاعرًا وانمّا كسفه الفرزدق فذهب شعرهُ . والرابع الاخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب (راجع الصفحة ٢٢١ من الجزء الاوّل من خزانة الادب والاغاني ١٢ : ١٥٦) والقاموس والتاج في مادة خطل) . فمن المحتمل ان يكون البيت لاخطل غير الاخطل التغلبي

ميمر

لاسحق النينوي في اكرام الصليب

معرَّب بقلم المخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

في كتاب اسحق النينوي الذي نشرهُ حديثًا حضرة الاب بيجان المازاري المحترم ووصفهُ في المشرق الاغر (ص ٢١٥) القس اسحق ارملة السرياني ميمر نفيس في اكرام الصليب المقدس رأينا ان نترجمه لقرّاء المشرق بمناسبة عيد هذه الراية الخلاصيّة وذلك اوّلًا ليكون أنموذجًا لانشاء المؤلف وتضلّعهِ في اللاهوت . وثانيًا لنكمّل بهِ ما كنّا كتبناهُ في المشرق يومًا عن اكرام الصليب والصور عند النساطرة (١ قال :

*

باي معنى نبجّل الصليب وماذا تشخّص لنا صورتهُ المباركة التي نخصّها باكرام عظيم

---

١) ممّا يستحق الذكر في هذا المعنى انهُ كان لا بدّ من وجود الصليب في قلّاية كل من رهبان النساطرة القدماء . قال اسحق النينوي لاحد الرهبان : انهُ اذا باشر اسابيع الاعتكاف والسكوت لا يخرج من قلايتهِ البتّة ولا لتناول القربان الاقدس في ايام الاحد حتى نهاية الرياضة بل يعوض عن ذلك بالتأملات وقراءة الكتب الروحية اذ يقرأها وهو جالس امام الصليب بخشوع (وجه ٦٢٦) . وتستدلّ على وجود الصور في قلايات الرهبان بما جاء في ميمر سبريشوع من بيت قوقا وتلاميذه الذي نشرهُ الاب الفونس منكانا (طالع كتابهُ Sources Syriaques وجه ٢٦٢) اذ يقول عن مارمان عمّهُ : ان الرب كلمه فمّا بفم من الصورة التي كانت في قلايته . وعاش هذا في الجيل السابع

وعبة وانعطاف ونسجد لها بلا ملل وقلبنا مفعم لذةً ذلك امرٌ يعرفهُ العالم اجمع ويترنم بتاريخهِ . ولكن كيف تحلّ فيهِ قوّة الله ؟ انما تحلُّ سرّيًا على نسق عادتهِ تعالى اذ يظهر قدرتهُ العجيبة في كل جيل وفي كل زمان فيضع اسمه العزيز على مواد هيولية ويجترح بها عجائب وآياتٍ للعالم ويمنح بها معوناتهِ للبشر . فهذا ما قصدنا ان نبيّنهُ الآن . غايتنا اذن ان نتكلّم بكلام بسيط مبرهنين عن القوّة المجيدة والازلية الكائنة في الصليب ليُعرف بان الله هو الذي يعمل كل شيءٍ في كل شيءٍ بالماضيات والاخيرات الى الابد

ان القوّة الموجودة في الصليب هي عين القوّة التي أبدعت العالمين . القوّة الازلية البديعة الابتداء المدبّرة للخليقة في كل زمان دون انقطاع بنوع الهي يفوق ادراك الكل كمشيئة لاهوتهِ . ما معنى ذلك ؟ ان قوّة الله الغير المحدودة تحلُّ في الصليب كما كانت حالّة بنوع لا يُدرك في قبة العهد التي كان يجلها شعب اليهود ويسجد لها بالخوف والهلع وبها ايضاً كان الله تعالى يصنع آياتٍ وعجائب رهيبة بينهم حتى انهم لم يمسكوا عن ان يدعوها الاها وينظروا اليها برغبة كنظرهم الى الله نفسهِ جلَّ اسمهُ العزيز الذي حلَّ عليها . على انها لم تكن مكرّمة بهذا الاسم لدى اليهود فقط بل من اعداء هؤلاء ايضاً اعني الامم الغريبة كما جاء في الكتاب المقدّس : « الويل لنا فان اله اليهود قد جاء اليوم الى معسكرنا » (١ سفر الملوك ٤ : ٧) . فهذه القوّة التي كانت حالّة في تلك القبة نؤمن انها كائنة في رمز الصليب هذا الذي نكرمهُ بناء على ما نعلمهُ من اسرار الله . وماذا كان يوجد في تلك القبة حتى صارت هكذا مخوفة ومملوءة آيات ومعجزات ؟ لم يوجد فيها سوى اناء المنّ ولوحي الشريعة اللذين كتبهما موسى وعصا هارون الذي أفرع . ومع ذلك كان موسى والشعب يسجدون امام القبة برعب ورعبة عظيمة . وكذلك يشوع بن نون مكث من الصباح حتى المساء خارًّا على وجههِ امامها . فلمَ كل ذلك أليس لان آيات الله المخوفة ظهرت فيها ثم لانَّ الله كان ساكنًا فيها ؟ عليك اذن ان تعلم ان القوّة الحالّة الآن في الصليب قد انتقلت من هناك وسكنت في الصليب سرّيًا

واعلم ان المعجزات التي تجري في الصليب ليست باقلّ مما كان يحدث في قبة العهد بل اكثر . أليس ان ما كُتب في سفر اعمال الرسل هو اعظم من معجزات قبة العهد ؟ فالذي لا يقبل هذه لا يؤمن بتلك ايضاً . كثيرون بقوّة الصليب طردوا الحيوانات

وانتصروا على النار ومشوا على البحر واقاموا الموتى وابطلوا الطاعون واخرجوا المياه من الاراضي اليابسة القحلة ووضعوا حدوداً للبحار وامروا مجاري المياه والانهار الخليمة فرجعت الى الوراء . ولكن ما بالي اذكر هذا ها ان ابليس مع شراسته يرتعب من اشارة الصليب عندما نرسمها ضده . بل اسمع الآن ما هو اعظم من ذلك كله ان الذين كانوا في خدمة قبة العهد رغماً عن كل المعجزات التي حدثت امامهم لم يقدروا ان يستأصلوا اصلاً واحداً من جذور الخطيئة مهما كان صغيراً . اما في خدمة الصليب فقد اضحت الخطيئة كخيط العنكبوت اذا عُلق فيه شيء ثقيل فلا يبقى له قوام والموت الذي كان مهولاً على الطبيعة ترى النساء والاطفال انفسهم يهزأون به . نعم ذاك الحكم المحتوم به على الجميع قد هان اليوم ليس فقط على ابناء الايمان بل على الحنفاء ايضاً وضعف هوله عما كان عليه من قديم بنعمة الصليب

فالسجود لمن غيّر الحكم علينا بالمصالحة التي توسّط بها من اجلنا . مبارك الذي من اجل الحبّ الازلي الذي به احبّ الخليقة ارتضى ان يظهر ذاك الحب علناً في هذا الزمان فاتخذ لخلاصنا خشباً اكرم من ذلك الخشب الذي سمي مسكن الله . وكان موسى والشعب يقدّمون لله في ذاك المسكن سجوداً ودعوة على الدوام . وان قيل انّ الله في التوراة اوصى الشعب بواسطة موسى ان لا يسجدوا لعمل ايدي البشر ولاي صنم وتمثال فكيف سجدوا للقبّة وهي صُنع ايدي النجّار كما انّ لوحي الوصايا نُقرا بيد موسى في الجبل وكُتبا باصبعه . اجبنا انّ الفرق بين هذه والاوثان ان الاوثان وُضع عليها اسم الشياطين ولهذا حُرّمت . اما القبّة وما تحويها فقد وُضع عليها اسم الله المجيد وكانت تظهر فيها قوّة الله واضحاً وكان بنو اسرائيل يستمدّون بواسطتها معونات الله وخلاصهُ وتُصنع بها الخوارق المخوفة . فعلى هذا النمط يجري في الصليب اي انهُ حالما يُمثّل هذا الرمز الشريف على الجدار او على اللوح او يُصاغ من موادّ كالذهب والفضة وغيرهما او يُنجر من الخشب فعالاً يتحوّل ويتلبّس من تلك القوّة الالهيّة التي كانت تحلّ في القبّة هناك ويضحي مقرّاً لسكنى الله اكثر مما كان في تلك

هذا وكما ان خدمة العهد الجديد هي اكرم عند الله مما كان في العهد القديم وكما يوجد بونٌ بين موسى والمسيح وكما ان الخدمة التي قبلها المسيح هي افضل من التي أُعطيت بيد موسى وكما ان كرامة الانسان هي اعظم من العجاوات وخلقتهُ افضل منها هكذا هذا

الرمز يفوق بالفضل من اجل كرامة الانسان الذي اتخذهُ اللاهوت مسكناً لهُ . وكما يوجد فرق بين رضى الله بهذا الانسان الذي اضحى هيكلهُ التامّ وبين رضاهُ الاستعاري بالامور القديمة الحسّ والشعور التي كانت تتضمّن ظلّهُ المتيد المنبئ بالمسيح فهكذا يفوق هذا الرمز كلّ ما سواه (١

على اننا لو اكرمنا هذا الرمز وسجدنا لهُ دون اسم الذي شرّفهُ لاستحقينا الشجب كاولئك القدماء الذين ابدلوا سجود الله بالاصنام . اما الآن فمن حيث اننا نضع عليهِ اسم ذلك الانسان الذي حلّ فيهِ اللاهوت (١ المشار اليهِ في العهد القديم وقد تمنّاهُ البشر وناقوا الى مجيئهِ مدّة اثنا عشر جيلاً فليس فقط لا نشجب بل كل مرّة تخطر هذه الامور لفكرنا في حين الصلوة او نسجد لهذا الشبه الذي فيهِ صُلب ذاك الانسان تنال قوّةً الهيّة فبواسطة هذا الصليب نستحق المعونة والخلاص والخيرات الغير الموصوفة في هذا العالم وفي الآتي

ولنا مثال على قولنا في صفيحة الذهب الابريز التي كانت تعلو قبة الهيكل وكانت قوّة الله تتجلّى فيها صريحاً لا يتجاسر الكاهن حين دخوله هناك ان يرفع عينيهِ ويتفرّس فيها كما يليق بسكن اللاهوت وكان منظرها مخوفاً مرعشاً زيادة عن كل ما كان في تلك الخدمة . والاباء قد رأوا فيها رمز بشريّة المسيح . فان كان الرمز هكذا مخوفاً فما عسى ان تكون الحقيقة والمرموز اليهِ ؟ الّا ان تلك الخدمة كان يلازمها الخوف اما هنا فاللطف والحب . هناك كان يقاصُّ حالاً من يستهين بتلك الرموز كاولئك الذين احترقوا بنار مباخرهم (سفر العدد ١٦) . اما هنا فمن حيث قد سُكبت النعم بلا عيار ابتُلعت الصرامةُ بالوداعة

ان منظر الصليب يجدي المؤمنين نعماً كبيرة لان جميع الاسرار تفهم بهِ فكلّما وقع الناس اعينهم ونظروا اليهِ كأنهم ينظرون شخص المسيح فتنالهم الخشية منهُ ويعزّ عليهم منظرهُ لانهُ مخوف ومحبوب وبصفة كونهم ابناء يشعرون بثقة عظيمة . فكلّما اقتربنا الى الصليب كأننا نقترب الى جسم المسيح فان ايمانا بالصليب يصوّر لنا المصلوب

---

١) على القارئ ان يعلم بان مؤلفنا هو نسطوري فحّ ولهذا يتكلّم في سر التجسد بتمييز اثنوين في المسيح وهكذا يصنع في الميرون كله وهذا برهان آخر على انهُ لم يكن كاثوليكياً ولا يعقوبياً كما توهّم البعض (راجع مقالة حضرة القس اسحق ارملة السابق ذكرها)

ويتقرّبا منهُ ونظرنا اليهِ يرتفع عقلنا الى السماء وينتقل بالفكر الى الامور غير المنظورة او المحسوسة. وبكرامة ناسوت ربنا ينفتح نظرنا الخفي بالتأمل في سر الايمان

ولهذا لا نخجل ان ندعوهُ ربًّا ومخلّصاً بل والهاً ونقرّب لهُ صلواتنا كتقريبنا اياها الى الخالق وكما اننا ايضاً لا نخاف ان ندعو ناسوت ربنا الذي هو انسان حقيقي الهاً وخالقاً وربًّا اذ بهِ تكوّن العالمون وخُلق كل شيء وكل ذلك نطلقهُ عليهِ الهيًّا لان ذلك الحاصل على هذه الصفات ارتضى ان يسكن فيهِ واعطاهُ كرامة لاهوتهِ والسلطان على كل شيء فهكذا يُكرّم الصليب لانهُ بهِ كان لزماً ان توهب الخيرات للخليقة ولذلك امر الله الملائكة ايضاً ان تسجد للمسيح كما يقول الطوباوي بولس (عبر ١ : ٦) : «لمّا ادخل البكر الى العالم قال : لتسجد لهُ ملائكة الله» فاعطاهُ ان يُسجَد لهُ معهُ بسجود واحد اعني للانسان الذي اضحى ربًّا (١ وللاهوت سريةً مع المحافظة على الطبائع كل بخواصها دون ان يصير تمييز في الاكرام. فنؤمن ان كل ما يُعزى الى هذا (اي السيد المسيح) يصعد اليهِ تعالى فيقبلهُ لنفسهِ هو الذي ارتضى ان يشركهُ بهذا الاكرام. فكل هذا انما عرفناهُ بالصليب وقد استندنا معرفةً سديدةً عن الخالق بواسطة هذا الصليب الذي يستحقرهُ غير المؤمنين

ثم ان جميع الناطقين اعني الملائكة والبشر استحقّوا بالمسيح محبة الخالق ومحبّة بعضهم لبعض بشركة ايمان واحد بالله الكل . فان الصليب هو ثوب المسيح كما ان ناسوتهُ هو ثوب اللاهوت (٢ على سبيل الرمز الى ان يأتي الزمان الذي فيهِ يتجلّى الاصل الحقيقي وحينئذٍ لا حاجة الى هذه الاشياء

ان اللاهوت يسكن بالناسوت بلا افتراق ولا نهاية اعني بلا حدود ولهذا ننظر الى الصليب كنظرنا الى مسكن العلي ومقدس الرب وبحر اسرار تدبير الله . هذا مثال الصليب يوضح لنا ايمان العهدين كما نرّهنا بهِ اعلاه لا بل هو ختام تدبير المخلص لانهُ كلما تفرّسنا بالصليب بحواسنا الصحيحة يجتمع ويقوم لمامنا داخلاً تذكار تدابير الرب

---

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هذا التشبيه من نشايه الناطرة فاعلم اذ جعلوا في المسيح اقنومين اقنوم الاله واقنوم الانسان خلافاً لتعليم الكتاب وعقائد الكنيسة والمجامع شبّهوا الناسوت بثوب لبسهُ اللاهوت ولم يتّحد بهِ اتحاداً جوهرياً مع بقاء الطبيعتين على خواصهما دون اختلاط ولا امتزاج

كلها ذاك الذي اذ كان قد حلّ فيهِ كل امتلاء اللاهوت جسديًا كان يتردّد كانسان بسيط على باب الخطأة كما قال اشعيا (٥٣ : ٢) : حقير ووضيع بين البشر لم يكن لهُ بهاء ولا منظر . فيا للعجب ان الخالق في الانسان كان يدخل بيت العشارين والزناة وبواسطتهِ كان يحنّهم على الرجوع اليهِ وبتعاليمهِ يحرضهم على المصالحة معهُ وكان يؤيد كلامهُ الصحيح بالآيات والمعجزات الصحيحة . . .

وفي آخر الكل تحقق المؤمنون الرجاء الذي اعطاهم لانه ختم كلامه معهم بسفك دمه وبواسطة موتهِ وقيامته ثم قوّى اثني عشر رجلًا انتخبهم من كل الجنس الآدمي بسبق معرفة الله الى هذه الخدمة وبمجد لا يوصف اصعده اليهِ الى السماء المكان الذي لم تطأهُ رجل خليقة حيث بواسطتهِ دعا جميع الناطقين الملائكة والبشر الى الملكوت السعيد ليتمتّعوا بالنور الالهي الذي لبسه هذا الانسان المأخوذ قداسة وهو الآن بمعيّة الله باكرام وبهاء لا يوصف

هذه هي الاسرار المتضمّنة في رمز الصليب وسبب المعجزات التي صنعها بهِ البارئ في العالم اجمع . هذا الذي نسجد لهُ ونكرمه بفرح . هذا الذي كان منذ الازل في عقل الله ان يعطي الجميع بواسطة رمزهِ معرفة مجدهِ مع الحرية المزمعة ان تكون لجميع الناس . مبارك الله الذي باشياء جسميّة يقرّبنا دائمًا سريًا الى معرفة خفاياهُ غير المنظورة ويزرع ويرسم في عقولنا ذكر اعتنائهِ بنا في كل جيل وبمراد منظورة يربط عقلنا بمحبة خفاياهُ . فليبتهج قلبنا باسرار ايمانهِ نحن المتمسكين بها لنفرح بالله الذي اعتنى بنا كل هذا الاعتناء . ندخل في تأمل عقولنا الى عملهِ هذا العجيب نحونا . نفرح بالرجاء الذي تجلّى لنا نحن ابناء المسيح بسرّ العهد الجديد الذي قبلناه بواسطتهِ . السجود لله الذي لاجل خلاصنا صنع كل شيء في العالم ليقرّبنا اليه حتى يتجلّى لنا العالم العتيد حيث تقبل الخيرات اللائقة ببني الله . السجود لقوّة الصليب التي منحتنا كل هذه الاشياء . وبها استحقينا معرفة الله كما يعرفهُ الملائكة بواسطة تلك القدرة التي بها خُلقت البرية كلها المنظور منها وغير المنظور . المجد والعظمة والسبح للذات الالهيّة التي ابدعتنا ومنحتنا هذه الاشياء كلها ومزمعة ان تهبنا ايضًا الملكوت ولها السجود والكرامة والتبجيل الى ابد الآبدين آمين